التدبير المنزلي

في مدارسنا ومعاهدنا العلميـة نهضة حقيقية تناولت جميع فروع التعليم والتدريس . ولنظارة المعارف على هذه الحركة المباركة يدٌ تُذكرُ مع الشكر الجزيل . وقد أصابت مدارسُ البنات قسطاً وافراً من هذه النهضة ، وأصبحت تتدرّجُ شيئاً فشيئاً في مدارج الترقي والكمال . ومن الموادّ التي وجّهت اليها النظارة اهتماماً خاصاً ، درس الاقتصاد المنزلي ، ولا يخفى على أحد ما فى هذا العلم من الفوائد الجمة

وقد أحببنا بهذه المناسبة ان ننقل هنا شيئاً عن مزاولة ذلك التعليم في بريطانية العظمى اطلعنا عليهِ حديثاً في احدى المجلات[1] لعل النظارة تجد فيهِ ما يقع لديها موقع الاستحسان

أعارت بريطانية العُظمى ولا سيما انكلترا تعليم تدبير المنزل اهتماماً عظيماً في السنوات الأخيرة ، فشادت عن سعـةٍ مدارس المعلّمات لهذا الغرض ، وأنشأت في المدارس الابتدائيـة والثانوية فروعاً خاصّةً بتعليم الاقتصاد المنزلي . وازدرى فريق من الانكليز ذلك الفنّ الجليل فانبرى أشهر خطبائهم وأعظم كتّابهم لرفع شأنهِ ، وأعانهم ذَوو الأمر بنفوذهم الواسع ، وشدّدت الحكومة على ربّات المنازل في تدبير منازلهنّ فمن ذلك مثلاً ، أنّ إحدى المحاكم الانكليزية أصدرت يوماً حكماً على

(١) Le Musée Social: L'enseignement ménager en Angleterre et en Ecosse, par Jeanne Morin.

سيدة بالسجن والغرامة وهذه بعض حيثيات الحكم :

حيث أن زوجة ب . كانت تقضي اكثر أوقاتها أمام وجهات المخازن الكبيرة ، تتأمل القبعات والثياب المعروضة فيها ، وماليتها لا تمكّنها من ابتياع مثل هذه الثياب ؛ وحيث أنّ جيرانهـا وبعض مفتشي البوليس رأوا رأيَ العين قذارة بيتها وسوء ترتيبه ، وحيث أنهم رأوا زوجها يكنس ويغسل بدلاً منها الخ . فقد حكمت عليها المحكمة بالسجن الخ .

وأصدرت محكمةٌ أُخرى حكماً على امرأة بالغرامة لأنها تحققت قذارة رأس ابنتها . ولم تكتفِ الحكومة بذلك وبما فاه بهِ الخطباء ، وخطّتهُ أقلام الكتّاب مما يرفعُ شأن التدبير المنزلي ، بل أشارت بوضع شهادة جديدة تُدْعى « ليسانس الاقتصاد المنزلي » تعدل قيمة « الليسانس » في العلوم الأُخرى العاليـة . ولم يلبث أمرُ هذه الشهادة أن نال أهمية كبرى لدى طبقات الانكليز المختلفة . فصار اكثرهم يعتبرُهـا حلية المرأة ، والشرط المتمّم لتهذيبها ، مثريةً كانت أو فقيرة . وأصبح اليومَ الرأيُ العامّ يمتدح ما كان بالأمس يذمّ ، ويُعظّم ما كان يحتقر . وكانت بعض المدارس الثانوية قد أبدت علناً عدم استحسانهـا لهذا المشروع ، ورأت وضعَ الطبخ في بروجرامهـا ازاء اللاتينية واليونانية مُحطاً من قدر العلم . فلم تلبث أيضاً أن انقادت الى الرأي العام ، إمّا لاعتقادها بصحتهِ ، وإمّا اضطراراً وخوفاً من إعراض الطالبات عنها

ولم يقعد هذا الفوز الباهر ذوي النفوذ في انكلترا عن متابعة السعي في توفير الوسائل التي تحبّب الى الشابات تعلُّم تدبير المنزل والتي تحسّنهُ في

عيون الأفراد ، فأوعزت في « جلوسترشاير » مثلاً الى كلّ ممرّضة من ممرّضات المجلس البلدي أن تعود الفقراء ، وتمرّضهم مجاناً ، وأن تعلّمهم قواعد حفظ الصحة وتنظيف المسكن والملبس ، وأن تترك منزلها مفتوحاً أبداً ليدخلهُ مَن شاء رؤية حسن تدبيرها المنزلي . وقد روى بعض من زاروا تلك المنازل « أنها تلمع كالشمس نظافةً وبهجةً رغمَ بساطة أثاثها »

ولمّا كان تعليم الشابة تدبير المنزل لا يكفي لجعلها ربّة بيتٍ فاضلة ما لم تكن هي نفسها من متعشّقات المنزل ومعيشتهِ وواجباتهِ ، فقد رأت بريطانية أن تُرَبّيَ حبّهُ في فؤادها منذ الصغر ، وأن تزرعَ في نفسها — وهي لا تزال خاليةً من كلّ زرع — ولعاً بالترتيب والتنظيف والاقتصاد لا تؤثّرُ فيهِ طوارئُ الحياة وأدوارها ، فأفسحت لتعليم تدبير المنزل مجالاً واسعاً في بروجرام تعليم مدارس الأطفال والمدارس الابتدائيـة والثانوية وفي الجامعات الكبرى . فغدا بذلك أمر الاهتمام بشؤون المنزل يُرافق الفتاة كلّ أيام دراستها ، كما يُرافقها سائرَ أيام حياتهـا بعد خروجها من المدرسة إذ تصبح ربّة منزل

﴿ طرق تعليم تدبير المنزل ﴾ سبقت ألمانيـة وبلجيكة وأميريكة بريطانية العظمى الى هذا العلم ، وخبرته السنين الطوال ، ورأت بريطانية أن تستفيدَ من ذلك الاختبار ، لتتقي الوقوع فيما وقعت فيهِ تلك الدولُ من الخطإِ ، فوجّه وزير المعارف الى تلك البلاد الإرساليات لدرس طريقة التعليم المثلى . ولم يلبث المرسلون أن عادوا اليهِ بتقاريرهم فعرضهـا على المدارس ، وأجاز لكلّ مدرسةٍ ان تختارَ الطريقة التي تراها ملائمةً

لمركزها وظروفهـا ، عازماً على تقرير أوفاها بالغرض وأحسنها نتيجة في بروجرام المدارس . على ان كلّ هذه الطرق المتّبعة الآن ، وإن فَضُلَ بعضُها البعضَ الآخرَ قليلاً ، طرقٌ حسنةٌ سهلة ، تسير بالطالبة ، خطوةً خطوة ، من أوّل الطريق حتى آخره دون ان تكلّ أو تملّ

﴿ مدارس الأطفال ﴾ الغالب الآن في هذه المدارس الاقتصار على تعليم الصغيرات إزالة الغبار عن الأثاث ، وترتيب الأمتعة بخلاف هذه المدارس في المانية . فانها تعلمهنّ أيضاً مبادئَ غسل الثياب وطبخ الأطعمة

﴿ المدارس الابتدائية ﴾ تُعطى طالباتها في لندره ٦٠ أُمثولة في فنّ الطبخ يستغرق كلٌّ منها ٣ ساعات ، ولا تأتي التلميذة عليها إلاّ وتكون قد أَلمّت علماً بكلّ أصناف الطعام والحلوى وباصطناع الخبز ، وبطرق حفظ الفاكهة والبقول زمناً ، وبطبخ بعض المآكل للمرضى والأطفال

و ٤٠ أمثولة في غسل الثياب وكيّها على أَحدث الطرق بما فيهـا الثياب الصوفية والملوّنة ، وفي رتق البالية منها

و ٤٠ أمثولة في تدبير المنزل وتنظيفه ، وفي منع أضرار المراحيض والمداخن وتطهيرها ، ودروساً أُخرى في قواعد حفظ الصحة والعناية بالأطفال ، وفي علم الحيوان والنبات ، وفي طرق معالجة الأمراض والطوارئ الفجائية ، ريثما يحضر الطبيب ، وفي مضار الكحول ، ودروساً في علم الاقتصاد المنزلي ، وتنسيق الصرف على نسبة الدخل

غير أنّ هذا البروجرام يختلفُ قليلاً باختلاف المقاطعات ، ففي « جلوسترشاير » مثلاً تراجِعُ الطالباتُ قبل الانتقـال الى المدرسة

الثانوية في ١٠ دروس كلٌّ ما تكون قد تعلمتهُ في المدرسة الابتدائية

وفي « لينستر » تبدأ الابنة دروسها ، وهي في السابعة من عمرها ، وتُعطى في السنة ٥٠ أمثولة في الطبخ ، يستغرق كلٌّ منها ساعة واحدة ، فإذا ما بلغت الحاديةَ عشرةَ ، تُعطى ٥٠ أُمثولة أُخرى في الغسل . فتبلغ بذلك ساعات درسها المئة سنوياً

وفي « ليفربول » تتعلم التلميذات بعض القواعد الصحية عن ظهر قلوبهنَّ ، كما يتعلمنَ هنا معاً بصوتٍ مرتفع الحروفَ الهجائية . فمن تلك القواعد التي يرددنها : « من يحفظ فمهُ نظيفاً لا تُؤلمه أَسنانهُ » و « حيث لا تدخل الشمسُ يدخل الطبيب » . وغيرها من نوعها . أمَّا فيما يختص بتعليمهنَّ العنايةَ بالأطفال ، فإن المعلِّمة تقودهنَّ فرقاً الى مهد الطفل عند أُمه ، حيث تُريهنَّ رأيَ العين كيفية الاعتناء بالطفل ، وملاعبته ولفّه وتقميطه الخ . وقد تمكنت إِحدى هؤلاء الطالبات بهذه الطريقة من الاعتناء بأخيها كلَّ الزمنِ الذي قضتهُ والدتها في المستشفى ، وكان عمرهُ عندما عُهد بهِ الى عنايتها ١٤ يوماً

﴿ المدارس المركزية ﴾ ورأت بعضُ المدارس تعذُّر وجود جميع الأدوات والمعدّات اللازمة لتعليم تدبير المنزل في كلّ واحدة منها ، فاتفقت على انشاء معهدٍ مركزي عمومي ، اشتركت في تأْييثهِ ، فتذهب اليه طالبات كل مدرسة منها في مواعيد معيَّنة ، حيث يتعلمنَ تدبير المنزل نظرياً وعملياً وفي هذه المدارس المركزية قسمٌ ليليٌّ لتعليم الشابات

﴿ التعليم في المنازل ﴾ ومتى تقدمتِ الطالبةُ قليلاً في هذا الفنِّ

تذهب مرّةً في الشهر الى منزل إحدى المعلّمات، فتُدِيره بمعرفتها ليتسنى لها بذلك تطبيق القواعد العلمية المدرسية على العمل في بيتٍ منفردٍ

وفي « تشستر » و « ليفربول » يؤجّر المجلس البلدى لهذا الغرض بأجرٍ متهاودةٍ منزلاً مؤثثاً لمعلّمات المدينة، مشترطاً عليهنّ في مقابل ذلك أن يكلنَ ترتيبهُ الى تلميذات المدارس الابتدائية. وقد أبدت كثيرات من هؤلاء التلميذات مهارةً عظيمةً ونشاطاً وذكاءً في العمل؛ وكثيراً ما توصل البعض منهنّ الى اصطناع أبدع أمتعة المنزل من أشياء قديمة بالية لا قيمة لها. فمن ذلك أنّ إحداهنّ أخذت مرّةً صندوقاً للشحن، وكستهُ قماشاً ظريفاً، وزانتهُ برسوم جميلة، فكانت منهُ مكتبة بديعة المنظر تليق بردهة استقبال. وحوّلت أُخرى جرابات صوف بالية الى ثوب طفل يصلح للأعياد، واصطنعت غيرُها من علب الحلوى اطاراً للصوَر متقناً جميلاً. ولا ريب في أنّ مثل هؤلاء الطالبات يحوّلنَ منازلهنّ الى جنّات غنّاء

ولا تُتِمّ الابنةُ دروسها الابتدائية إلاّ وتكون قد خاطت كلّ جهازها من القميص حتى القبعة، ومهرت كذلك في التمريض والعناية بالأطفال، وفي الغسل والطبخ، وفنون الاقتصاد، واصطناع الأبسطة، وتنجيد المقاعد والكراسي، والرسم والتصوير وسائر الأشغال اليدوية

﴿ الاقتصاد المنزلي في المدارس الثانوية ﴾ لم تفسح هذه المدارس لتدبير المنزل المجال الذي أفسحتهُ المدارس الابتدائية ومدارس الأطفال، وذلك لأنّ الطالبة تدخلها وقد أضحت من فضليات ربّات المنزل، لا ينقصها الاّ النزر القليل، فتراجع فيها كلّ ما تعلّمت قبلاً مع التطويل

والإسهاب . وقد أرادت بعضُ هذه المدارس أن تصبغَ علم تدبير المنزل بصبغةٍ علمية ، فضمّتهُ الى علمي الطبيعيات والكيمياء ، وزادت فيهِ تعليم الطالبات كيفية تطبيق المبادىء الكيماوية على الشؤون المنزلية ، فتوسّعت في درس المواد التي يتركب منها كلُّ نوعٍ من أنواع الأغذية وكيفية تحولها الكيماوي بالطبخ والاختمار ، وفحص المآكل بالمجهر ، وطريقة اصطناع المسكّرات والحلويات ، ودرس محلولات خاصة بتنظيف الأمتعة والأقمشة ، وغسلها من أصوافٍ وأجواخ وحرائر وجلد ورخام وزجاج وخشب ، وكذلك في علم الفسيولوجيا والعلوم الرياضية كالجبر والهندسة ، وعلم المثلّثات ، ومبادئ علم الآليات ، وبعض دروس مالية وتجارية ، كتسليف النقود والاسترهان ، وتحرير العقود والصكوك ، ومسك الدفاتر الى غير ذلك مما يطولُ شرحهُ

﴿ مدارس المعلّمات ﴾ أما المعلّمات المكلّفات بالتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية فيتعلمنَ في مدارس عالية خاصة بتحضيرهنّ للتدريس تُعدّهنّ للشهادات المنزلية العليا المقبولة من الحكومة ، وتؤهلهنّ للتعليم برواتب تتراوح بين ٧٠ و ٣٠٠ جنيه سنوياً . ولا تقبل هذه المدارس إلاّ حاملات الشهادات الثانوية . ومن أشهرِها مدرسة « كلافام » في لندره ، ومدة التعليم فيها ٣ سنوات . ومما تتناوله دروسها علم الحياة ، وعلم الميكروبات ، والحقوق المدنية ، والاقتصاد ، ومسك الدفاتر

ومن هذه المدارس كلية تدبير المنزل في « ايدنبرج » وفيها ، عدا ما تقدّم ذكره في الكليّة السابقة ، أقسامٌ خاصّة بتعليم كلّ فرعٍ من

فروع تدبير المنزل على حدة ، فتقصده كلُّ فتاة تروم الاختصاص بفرع من هذه الفروع ، وتخرج منهُ بعد ٦ أشهرٍ بشهادة « مربية أولاد » أو « مدبّرة منزل » أو « طاهية » الخ

وتُلقي كلية ايدنبرج أيضاً في العاصمة والضواحي محاضراتٍ في حفظ الصحة والتمريض والعناية بالأطفال وما شابه ذلك

فنرى أنّ التعليم المنزلي في بريطانية قد كاد يبلغُ حدَّ الكمال وهو لا يزال في طورهِ الأوّل ، فإنهُ في حالتهِ الحاضرة يمكّن كلَّ انكليزية من اتقان شؤونها المنزلية ، ويعلّمها كيف تُؤَثث منزلها بنفسها ، فتصنع الأبسطة ، وتحبكُ قشَّ الكراسي ، وتُصلح الأقفال ، وتزين الجدران والأمتعة بالرسوم والنقوش ، وتتعهد بنفسها زرع أزهار حديقتها ، وتقي تلك الازهارَ في غرف المنزل من الذبول السريع ، وتختار الألوان التي تتفق مع بعضها بعض في تنسيق الأمتعة وترتيبها بذوقٍ يزيدها جمالاً ورونقاً ؛ فتجعلُ منزلها شعاعاً من نور نفسها ، ونسمةً من حياتها ، يُنير ويُحيي الأفئدة التي يضمُّها بين جدرانهِ . ولقد صدق الوزير الانكليزي الذي قال : إنّ إدارةَ المنزل جيداً تستدعي من المقدرة والبراعة والذكاء فوق ما تستدعيه ادارة مملكة واسعة »

ولا ريب في أن مثل هـذا التعليم في مصر ، يؤثر تأثيراً سعيداً في الحياة العائلية وفي أخلاق الأمة وصحة عقولها وأبدانها ، وفي سلامها ونجاحهـا ، ويصرف اهتمام شاباتنا عماً لا يجديهنّ نفعاً الى ما يضمن سعادة أسرِهنّ

هند اسكندر عمون